الحوار الديني: جذوره وأبعاده

رؤية فلسفية لاهوتية

الأستاذ الدكتور جوزيبي سكاتولين

أستاذ التصوف الإسلامي بالمعهد البابوي
للدراسات العربية والإسلامية بروما
عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بالقاهرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكل باحث دؤوب عن الحق

حتى يتجلَّى له الحق

ففيه تتجلَّى ذاته

(قول صوفي)

ما كنت لتبحث عني

إن لم تكن قد وجدتَني

ولم تكن قد وجدتَني

إن لم أكن أنا قد وجدتُك

(بليز بسكال)

****

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة

الحوار: عنصر ضروري في حاضرنا ومستقبلنا[1]

إن الحقبة الزمنية التي دخلناها منذ زمن قريب أصبحت تُعرَف بـ"عصر العولَمة"، وهي تتميز بملامح خاصة من أهمها العملية التسويقية العالَمية الواسعة المتزايدة التي تهدف آخر أمرها إلى توحيد البشرية جمعاء في كتلة ثقافية موحدة، تُسمَّى بـ"**الثقافة التسويقية**" (marketing culture). ويبدو أن هذه الثقافة التسويقية تسعى إلى إلغاء كافة الخصوصيات الثقافية والاجتماعية الأخرى التي ظلت قروناً طويلة عَصَب الحياة لشعوب العالم عبر تاريخهم الطويل، المليء بكنوز من الحكمة والمعرفة.

إن هذه الثقافة التسويقية تؤدي بالضرورة إلى تكتل ثقافي (cultural massification) عالمي خطير، تذوب فيه كل الثقافات العالمية المتنوعة التي كانت تمثل على الدوام غنًى روحيًّا عظيمًا للبشرية جمعاء. وفوق ذلك يبدو أن هذه العملية التسويقية تشكل المُقدِّمة المقصودة والضرورية لعملية أخرى خطيرة، هي عملية "رَوْبَتَة" (robotization) شاملة كاملة للكائن البشري، مما يؤدي بالضرورة إلى فقده شبه الكامل لهويته الإنسانية. هكذا، سيصير الإنسان بصورة متزايدة مجرد آلة روبوتية للإنتاج والاستهلاك في إطار نظام روبوتي عالمي مُتقَن على أقصى درجة من الإتقان والقدرة. وعندئذٍ سيتحقق ما أقوله منذ وقت: "إن الإنسان صنع الآلة ثم تحوَّل إلى صورتها ومثالها، بل صار لها خادمًا". فكل هذا بلا شك يمثل خطراً جسيماً على بقاء إنسانية الإنسان.

ونظرًا لهذا الواقع فقد أصبحتُ منذ وقت طويل على قناعة تامة بأنه فقط بإحياء تلك القيم الروحية المتضمَّنة في التراث الروحي الإنساني الأصيل، والمتأصلة في حياة البشرية منذ فجر تاريخها، أكرر فقط بإحياء تلك القيم الروحية سيكون بإمكان الإنسان المعاصر أن يُنقذ إنسانيته من سقوطها في هوة العدمية واللامعنى.

وإلى جانب ذلك، هناك خطر آخر جسيم على إنسانيتنا المعاصرة وهو متمثل فيما يُسمى بظاهرة "**القبليات المُحدَثة**" (neo-tribalisms) من عِرْقِيَّةٍ وثقافية ودينية. لقد ظهرت هذه الحركات القبلية كَردِّ فعل على تلك العملية التسويقية المعولمة حفاظًا على

---

(1) الأفكار الأساسية التي أقدمها في هذه الورقة مأخوذة من كتابي: جوزيبي سكاتولين، *تأملات في التصوف والحوار الديني*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣، وإليه نحيل القراء لتكملة رؤيتي في هذا الموضوع.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصالة هويتها الخاصة مع استعادة قيَمها الثقافية التقليدية، وإثباتاً للهوية الذاتية الخاصة بكل شعب. إلا أن هذه الهوية الذاتية أيضًا عندما تُستَرَدُّ وتُعاش بطريقة "قَبَلِيَّةٍ" انطوائية حَصرية، قد تولِّد من جديد تلك "النزعات القبلية" المعروفة عبر التاريخ البشري منذ فجره، والتي، عندما تجد دعمًا من طرف المصالح السياسية والاقتصادية الكبرى، قد تتحول بكل سهولة إلى وقودٍ ملتهب من الصراعات والحروب الضارية المدمرة للكيان البشري، كما شهد لذلك التاريخ البشري مرارًا وتكرارًا.

ومعروف موقف المحلِّل السياسي الأمريكي المشهور، صامويل هنتنجتون (Samuel Huntington) (ت٢٠٠٨) الذي بنى على هذا الواقع نظريته الخطيرة عن *"صدام الحضارات"* (*Clash of Civilizations*)، في كتابه المشهور بهذا العنوان(٢).

لذلك نرى أن إنسانيتنا المعاصرة في أمس الحاجة لدعوة جميع الناس للتعاون معًا من أجل التغلب على تلك النزعات القبلية المدمرة. فلا شك أن للأديان في ذلك دورًا مهمًّا للغاية. وعلى ذلك نردد القول المعروف للمفكر الألماني الشهير هانس كونج (Hans Küng): "لن يكون هناك سلام بين الشعوب ما لم يكن هناك سلام بين الأديان". فالأديان العالمية كلها مطالَبة الآن بأن تقدِّم وتدعِّم مبادئ واضحة راسخة لبناء "إنسانية جديدة" (new humanism)، أو "أنسنة متجددة" (ever new humanization) على أساس فلسفة أخلاقية متَّفقٍ عليها عند الكل. إلا أنه لا يمكن، في رأينا، أن يتم ذلك إلا من خلال حوار عميق بينها. لذلك نكمل هذه العبارة فنقول: "لن يكون هناك سلام بين الأديان إن لم يكن هناك أولاً حوار جاد إيجابي عميق بين أهلها".

وفي هذا المقال أريد أن أقدم بصورة مختصرة بعضًا من الأبعاد الأساسية المطلوبة لإجراء مثل ذلك الحوار العميق بين البشر لترسيخه وتثبيته على شتى مستوياته من وجودية أو أنطولوجية، وإنسانية أو أنثروبولوجية، ودينية أو لاهوتية.(٣)

---

(٢) انظر إلى كتابه: صامويل هنتنجتون، *صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي*، ترجمة طلعت الشايب، سطور للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

Samuel Huntington, *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Orde*r, Simon & Schuster, New York, 1996.

(٣) كمدخل عام إلى موضوع الحواربين الأديان، انظر:

Eric J. Sharpe 'Dialogue of Religions', in *The Encyclopedia of Religion*, Mircea Eliade (ed.), Macmillan, New York-London, 1987, vol. 4, 344b-348a.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١- الأسس الأنطولوجية للحوار

إن الكلمة اليونانية (διαλόγος-δια) مشتقة من كلمتين، هما (δια) بمعنى "بين" و(λόγος) بمعنى "كلمة"، إذن، فمعناها الأساسي هو: "كلمة (تجري) بين طرفين أو واسِطة بينهما". هكذا اتخذت هذه الكلمة معنًى عامًّا للتعبير عن "الكلام" الذي يدور بين طرفين أو أكثر. والجدير بالذكر أن المشتقات من الأصل العربي "حـ و ر" (منها كلمة "حوار") تأتي بمعنًى متشابه أي هو "الكلمة التي تخرج ثم تعود إلى مصدرها".

وللكلمة اليونانية (logos) أهمية كبرى في الفكر اليوناني.(٤) وهي تعني اساسًا "القياس" (measure, reason) الذي به نقدر الأشياء، ومن ثم تشير إلى الأساس الباطني العقلاني في كل موجود وشفافيته للفكر الإنساني.

إن العالم، أي الوجود أو الطبيعة، في الفكر اليوناني القديم ليس عبارة عن "خاوس" (chaos)، أي عن فوضى وجودية عشوائية لا معنى منطقي لها. إنما العالم في نظر المفكرين اليونانيين يُسمى "كوزموس" (cosmos)، لأنه يقوم على نظام عقلاني باطني متناغم ومنسجم وشفاف لفكر الإنسان. لذلك أثبت الفلاسفة اليونانيون أن الوجود (being) واللوجوس (logos) متصلان اتصالاً وثيقًا لا فصل فيه: فالوجود عقلانيٌّ (logikos) أصلاً لأن الوجود واللوجوس متطابقان ومتَّفقان بالأساس بينهما.

ثم، استُخْدِمَ مصطلح لوجوس (logos) للإشارة إلى خاصية الإنسان وملكته في التفكير والإدراك. فأصبحت كلمة اللوجوس (logos) تعني الفكر البشري بصفة عامة. إن الإنسان هو الكائن القادر على الإدراك والفهم، أي "هو الحيوان العاقل (logikos)"، كما عرَّفه الفيلسوف اليوناني الشهير أرسطو (ت٣٢٢ ق.م).

وأخيرًا، استُخْدِم المصطلح "لوجوس" (logos) لدى اليونانيين للإشارة إلى التعبير اللغوي الذي يلفظ به الكائن البشري للتعبير عن فكره الباطني، أي الكلمة التي يلفظها ويكتبها. إذن، فهناك في الفلسفة اليونانية صلةٌ عميقة بل ترابط وثيق بين هذه الحقائق الثلاث: الوجود، والفكر، والكلمة. فكلٌّ من هذه العناصر الثلاثة قد أُشير إليه عبر نفس المصطلح نفسه "لوجوس" (logos). والحقيقة أن هذا المصطلح لعب دورًا مهمًّا وأساسيًّا في الفلسفة اليونانية عامةً، وفي بعض تياراتها من أمثال الأفلاطونية والرواقية بوجه خاص.

---

(٤) في المفهوم الفلسفي واللاهوتي للوجوس، انظر:
Felix J. Oinas, "Logos", in *The Encyclopedia of Religion*, o.c., vol. 9, 9b-15b.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا يخفى علينا أن نظرية الـ"لوجوس" (logos) اليونانية لها تـأثيرٌ واسـع فـي الفلسفات اللاحقة، خاصة المسيحية والإسلامية منها، فكلتاهما اتَّخذتا هذا المصطلح كوسيلة بنيوية أساسية للتعبير عن نظرياتهما الدينية.

وعلى أية حال، فما يهمنا في بحثنا هذا هو إبـراز أن البنـاء المنطقـي (logical) للوجود يصير بالضرورة بناءً حواريًّا (dia-logical)، فاللوجوس يوحِّد كلية الموجـودات في الكون فيما بينها عبر شبكة من العلاقات البَيْنِية أولاً، ثُم في تواصل منطقي بينها وبين الفكر الإنساني ثانيًا، وفي النهاية فالكل متواصل مع أساسه الأخير، وهو المطلق بذاته، أي الله. إن الموجودات ليست شظايا مجزَّأةً منعزلةً، وملقاةً بطريقة عشوائية في ظلام العـدم أو في دَيجور قدَرٍ حتمي أعمى (fatum) غير عقلانـي (irrational)، وكأنهـا بمثابـة ذراتٍ هبائية رُمي بها، مُشتَّتةً ومُتذرِّيةً في فضاء فارغ بلا صلة بينها، بل بلا سـبب ولا غاية، كما تدَّعي شتى فلسفات الصُّدفة والعدمية. عكس ذلك، فإن الكائنات تبدو أنها أجزاء في داخل وجود كلي، وهي متَّصِلة ومتواصلة فيما بينها من خلال شـبكة مـن العلاقـات الملازمة لها، والتي تُشكِّلها وتُثبِّتها في صلات وجودية متبادِلة. وزيادة على ذلـك فهـذه العلاقات تمتد عبر شتى مستويات الكائنات، من الفيزيائية-الكيميائيـة إلـى البَيولوجيـة-النفسية، حتى تصل أخيرًا إلى مستوى الفكر العقلاني، أي إلى اللوجوس الإنساني. ولكـن، وراء هذه الشبكة من العلاقات الأفقية، فإن الكائنات تتعالق وتتآلف بالضرورة مع أساسـها الأول والأخير (Ultimate Ground) الذي منه تنبثق إلى نور الوجود وإليه تعود، وهـو المطلق، أي الله.

لذلك، فعلينا أن نُقِرَّ بأن فعل الـ"وجود" أو الـ"كينونـة" (to-exist, to-be) يعنـي دائمًا وبالضرورة "الوجود مع..." (to-exist-with) أو "الكون مـع..." (to-be-with)، أو "الكون في علاقة مع..." (to-be-related-with) الكائنات الأخرى. فليس هناك كـائن موجود في عزلة تامة، منفصلاً عن غيره انفصالاً كليًّا، ومنغلقًا في ذاته دون أدنى علاقـة مع كائنات أخرى. فهذا الموجود المنفصل، إن وُجِد، يكاد يكـون فـي النهايـة مـستحيلَ الوصول إليه، وغير قابل للإدراك والفهم، أي يكونَ في النهاية غيرَ موجود.

إذن، فإن مبادئ الحوار لها أصول بعيدة، ترجع إلى البنية الأنطولوجيـة الأساسـية لكل الكائنات في حد ذاتها. ومن هنا يبدو جليًّا أنه لا يمكن أن يوجد موجـود فـي عزلـة مطلقة، إنما هو دائمًا "موجود مع..." و"متعالق بـ....." غيره من الموجودات، وبالتـالي، يأتي دائمًا في حوار - بيني (dia-logos) معها على مستوى كيانه (being). والحـق أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كلَّ موجود يجد نفسه، ويمتلك ذاته، ويعبِّر عن ذاته عارضًا إياها على الموجودات الأخرى في حركة أنطولوجية أساسية معها، أي في حوار أنطولوجي شامل مع الوجود.

على هذا الأساس، فإن الكائن البشري أيضًا ليس كائنًا عاقلاً (logikos) فحسب، حسَب التعريف الأرسطي الشهير، أي قادر على التفكير في الوجود وفهمه. إن الكائن البشري يكون دائمًا وبالضرورة كائنًا "حواريًّا" (dia-logikos)، أي إنه موجود حتمًا في حوار مستمر مع الكائنات الأخرى المحيطة به، وهو أيضًا في حوار دائم مع ذاته عبر أفعاله من الفكر والحرية والمحبة. وآخر أمره، فإنه يتواجد دائمًا وبالضرورة في حوار وجودي مع الأساس الأول والأخير (Ultimate Ground) والمطلق لوجوده، وهو الله.

وبناءً على ذلك، فإن الكائن البشري يأتي دائمًا في علاقة حوارية حيَّة مع الآخرين، تضعه في تناغم مع نفسه، ومع الكون من حوله، وأخيرًا مع أساسه الأول والأخير. فهذه العلاقة الحوارية عميقة جدًّا لدرجة أنه من خلالها يعود الإنسان إلى الاتصال بتكوينه الوجودي الأساسي. والواقع أن الإنسان يستطيع أن يجد تناغمًا وسلامًا مع نفسه ومع الكل فقط في هذه العلاقة الوجودية-الحوارية أو الأنطو-حوارية (onto-dialogical) التي تنبعث من عمق كنهه. ومن ثم، يلاحظ أنه من خلال تحقيق ذاته في الأبعاد الأنطو-حوارية يختبر الكائن البشري تناسبًا أصيلاً وتجاوبًا عميقًا بينه وبين الطبيعة من حوله، إذْ إنه ينعكس فيها كما هي تنعكس فيه. فعلى هذا التناسب الوجودي تصبح الظواهر الطبيعية مرآةً لحالات الإنسان النفسية، وكذلك تجد هذه الحالات النفسية استجابةً واسعة في الظواهر الطبيعية. والواقع أن تاريخ الفن، وهو تاريخ الجمال والإبداع عبر الأعمال الفنية التي أنتجها الإنسان على شتى أنواعها، يكشف عن عمق هذا التناغم والتجاوب بين الكائن البشري والطبيعة المحيطة به، حيث يرجع مصدرهما إلى النظام الوجودي المشترك بينهما.

أما في عصرنا الحديث فقد أصبح هذا الحوار الأنطولوجي بين الإنسان والطبيعة في خطر جسيم بسبب المُخاطرة التكنولوجية العلمية المتغطرسة (hubris) التي يَفرضها الإنسان عليها. فهذا المشروع البشري لا تقوده رغبة جادَّة في بناء تناغم حواري مع سائر الموجودات أو في تأسيس انسجام أنطولوجي شامل مع الوجود كله. إنما تخضع في الغالب هذه المخاطرة التكنولوجية الحديثة في حقيقة أمرها لغَطْرسة البشر، أي لرغبتهم العمياء والخطيرة في التسلط على الطبيعة بكل الوسائل الممكنة. فالحقيقة أن الإنسان بغطرسته وتكبره يسعى إلى استغلال الطبيعة إلى أقصى حد ممكن. وبالتالي، فإن ذلك التناغم العميق القائم بين الكائن البشري والطبيعة، وذلك التجاوب العجيب الذي هو المنبع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأول لفنون الإنسان وحضاراته عبر التاريخ، وذلك الانسجام الوجودي مع العالم المحيط به، قد صار كل ذلك في عالمنا التكنولوجي المتقدم مُتصدِّعًا، إن لم يكن قد دخل في حالة من التفكُّك التامِّ. إن الإنسان المعاصر لم يعُدْ كونَه الراعي الحارس على سلامة الطبيعة (كما ورد في العديد من الأساطير القديمة). إنما أصبح الآن هذا الإنسان التكنولوجي المتغطرس المستغِلَّ الطمَّاع الجَشِع لها (كما نبَّهت أيضًا بذلك العديد من تلك الأساطير القديمة)، فهو في خطر غير بعيد لإبادتها ولإبادة ذاته معها.

فهناك أمام هذا المشروع الخطير تساؤلات جد مهمة: هل سيقود هذا كله في نهاية الأمر إلى "الحطِّ من أنسنة" (de-humanization) الجنس البشري؟ بل إلى القضاء على بقاء الإنسان كإنسانٍ على ما هو عليه؟ فهذا بلا شك خطر جسيم غير مستبعَد، قد يؤدي في نهاية أمره- كما تشير إليه الكثير من التبصرات المعاصرة- إلى تحوُّل الإنسان إلى آلة روبوتية كاملة فعالة إلى أقصى درجة من الإتقان، ولكن، مع ضَياع إنسانيته ضياعًا كاملاً، إذْ إنه يكون فقد مزيته الإنسانية الأصيلة ومسئوليته الأساسية عن مصيره. عندئذ سيتحقق ما أقوله منذ وقت: "إن الإنسان صنع الآلة ثم تحوَّل إلى صورتها ومثالها، بل صار لها خادمًا".

هذه تساؤلات جدُّ درامية أمام الإنسان المعاصر. وهناك حاجة ملحة متزايدة إلى تعميق البعد الحواري في عالمنا المعولم مع تأصيله على أسس أكثر عمقًا ومتانة مما مضى، أي في جذوره الأنطولوجية لكي يبنيَ الإنسان عليها مشروعًا حضاريًّا جديدًا يسعى إلى إنقاذ إنسانيته كإنسان.

٢- الأسس الأنثروبولوجية للحوار

إن الكائن البشري، كما رأينا آنفًا، كائن حواري في جوهره أكثر من أي كائن آخر. وعبر هذا الحوار يتفتح الإنسان من داخل ذاته نحو كلية الوجود، ساعيًا إلى إدراك الوجود ذاته ادراكًا أكمل فأكمل.

ومن الملاحَظ كذلك أن هذا الحوار الأنطو-لوجي الخاص بالكائن البشري لا يحدث في صميم جوهر مَوْحَد (monad)، منعزل في ذاته، في علاقة فردية أنَويَّة (solipsistic) مع الوجود، كما يزعم بعض الفلاسفة. إن الخبرة الواقعية تكشف أن كل كائن بشريّ فردٍ يأتي حتمًا كجزءٍ من تبادل مستمر وتواصل دائم مع الكائنات البشرية الأخرى. فالكائن البشري يبدو في حقيقة أمره كائنًا اجتماعيًّا في جوهره، كما أعلن أرسطو نفسه في فلسفته.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فكائنٌ بشريٌّ منعزل في ذاته، مكتفٍ بنفسه اكتفاءً مُطلقًا، مُنقطعٌ عن الكائنات البشرية الأخرى انقطاعًا تامًّا، لا يعود كونه إنسانيًّا، بل قد لا يكون له وجود إطلاقًا.

والحق أن اللوجوس-الكلمة (logos) الخاصَّ بالإنسان، أي اللغة البشرية، يحمل في داخله علامات واضحة لهذه العلاقة-البينية (inter-relationship) بالمحيط الاجتماعي الذي فيه يُولَد وينمو ويعيش الكائن البشري. فبالضبط عبر ذلك اللوجوس-الكلمة الخاص به ينمو ويتطور الكائن البشري عبر حوار متواصل وتبادُل مستمر مع الكائنات البشرية الأخرى. لذلك يجب أن يقال إن الكائن البشري الفرد في ذاته يأتي دائمًا كثمرة للحوار البين-إنساني (inter-human). إذن، فعلاقة الإنسان بالوجود العامِّ تأتيه دائمًا وبالضرورة بواسطة علاقاته بالكائنات البشرية الأخرى. فقد أثبتت العلوم التاريخية والاجتماعية بوسائل عديدة أن الكائن البشري الفرد لا يمكنه أن يتقدم ويتكامل على شتى مستويات كيانه إلا بتعالقه وتبادله مع وسطه الاجتماعي الذي يحيط به، بَدْءً من أسرته المحدودة ووصولاً إلى شتى أشكال الجماعات البشرية الأخرى حتى تلك الأكثر تعقيدًا في الحياة العامة. فبدون هذه الوساطة الاجتماعية، ربما يكون تطور الإنسان في الحقيقة أمرًا صعبًا جدًّا، إن لم يكن مستحيلاً بالفعل. لقد أثبتت الدراسات الأنثروبولوجية أن الكائن البشري إذا عاش في انعزال تام وانقطاع كامل عن الكائنات البشرية الأخرى يرتدُّ تلقائيًّا إلى مستويات أدنى في تصرفاته وسلوكياته، وإن لم ينتهِ به الأمر إلى انحصاره الكامل على مستوى حياة حيوانية صِرف.

ومن الملاحظ أيضًا أن اللغة الإنسانية ذاتَها، أي اللوجوس-الكلمة، تُثبت أنها في جوهرها متصلة اتصالاً وثيقًا بالسياق البشري الاجتماعي، فلا يمكنها أن تنشأ وتتطور إلا في إطار هذا الاتصال الاجتماعي الوثيق بغير عزلة وانقطاع. وعبر اللغة فإن ملكة الفكر الخاصة بالإنسان الفرد تتفتح وتتوسع في حركة متزايدة نحو إدراك وفهم الكائنات المحيطة به، وأخيرًا نحو الوجود الكلي وأساسه الأخير.

وعلى هذا الأساس، يجب القول بأن الكائن البشري يتمُّ "أنسنة ذاته" (self-humanization)، أي صيرورته نحو إنسانيته الأكمل، بالضبط عبر علاقاته الاجتماعية وحواره البين-بشري، بدءً من العلاقة الأساسية والأولية مع أمه وأفراد أسرته، ووصولاً إلى العلاقات الاجتماعية العامة المتنوعة والمعقدة التي تشكِّل حياته الإنسانية بصورة عامة.

وهناك عدد من الفلاسفة المُحدَثين، من أمثال المفكر الألماني مارتن بوبر (Martin Buber) (ت١٨٧٨- ١٩٦٥) والفيلسوف الفرنسي إيمانويل ليفيناس (Emmanuel

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Levinas) (ت١٩٠٦- ١٩٩٥)، الذين ركزوا اهتماماتهم البالغة في دراسة الدور الذي يلعبه الحوار في حياة البشر، فطوروا ما عُرف بـ"فلسفة الحوار" (philosophy of dialogue)[٥]. فقد أثبت هؤلاء الفلاسفة أن خبرة الـ"أنت" (thou) هي خبرة جوهرية أصيلة للإنسان لكي يبلغ الوعي التامّ بذاته الخاصة كـ"أنا" (I-ego)، أي كشخص-فاعل (subject) بمعنى الكلمة. كذلك أَلْقَى هؤلاء الفلاسفة ضوءًا جديدًا على الفارق الأساسي القائم بين خبرتَيْن أساسيَّتَيْن للإنسان: الأولى هي خبرة الـ"أنا-أنت" (I-thou)، والأخرى هي خبرة الـ"أنا-ذاك" (I-it, that). إن الخبرة الأولى، أي خبرة الـ"أنا-أنت"، هي الخبرة البينَ-شخصية (inter-personal) التي تتم بين فاعِلَيْن شخْصيَّين (subjects). أما الخبرة الثانية، أي خبرة الـ"أنا-ذاك"، فهي خبرة موضوعية متشيِّئة لاشخصية، تقع بين فاعل شخصي وشيءٍ موضوعي لاشخصي (impersonal object). وبالفعل، أثبت هؤلاء الفلاسفة أنه فقط من خلال الخبرة الأولى، أي علاقة "أنا-أنت"، يصل الإنسان إلى الإدراك بذاته الخاصة، أي بالـ"أنا" الخاص به، كشخص فاعِل. على هذا، فالحوار لا يعني فقط تبادل معلومات على مستوى المعرفة النظرية المجردة فحسب، كما كان الحال عند الفلاسفة اليونانيين عامة، بل لقد أصبح من الواضح الآن وبشكل متزايد في الفلسفة الحديثة أن الحوار دائمًا ما يقع كعلاقة بين-إنسانية (inter-human) أصيلة، وبالتالي يجب اعتباره مقولة (category) جوهرية لمعرفة أبعاد بِنْيَة الشخص الإنساني وكينونته.

وبنظرة متعمقة في هذا المجال يتَّضح أن هذه العلاقة الحوارية بين البشر علاقةٌ مهمة جدًّا ليس فقط على مستوى الكائن البشري الفرد، بل أيضًا على مستوى المجتمع البشري أجمع. فكل مجتمع بشري، إذا أراد حقًّا أن يتقدم في بُعد "أنسنة (humanization) متزايدة"، يحتاج أن يعيش في تبادل مستمر مع المجتمعات البشرية الأخرى، وفي حوار عميق معها. ومن الملاحظ أن المجتمعات البشرية التي تعيش في انعزال وبُعد عن غيرها تصير بكل سهولة منغلقة في ذاتها ومنحصرة في هوية قبلية جامدة متجمدة، تُفقدها بُعد الانفتاح على الآخر المختلف، وبالتالي الانفتاح على الثراء اللامحدود المتضمَّن في الوجود كله. إذن، فالحوار يظهر أنه ضروري ليس فقط على

---

(٥) انظر إلى مؤلفاتهما وخاصة:
Martin Buber, *Das dialogische Prinzip*, Lambert Schneider, Heidelberg, 1984 (5th ed.); Emmanuel Levinas, *Humanisme de l'autre homme*, Fata Morgana, Paris, 1972; and other similar studies on the philosophy of dialogue.
يعتبر البعض الإحساس بـ "الذاتية" أو "الهوية" أو "الأنا" يمر عند الإنسان عبر الإحساس بـ "الاختلاف" أو بـ "الغيرية" أو الـ "أنت" إن لم يكن يتوقف عليه، لمزيد من التفاصيل حول هذه الفكرة راجع: محمود رجب، *فلسفة المرآة*، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٩١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المستوى البينَ-شخصي (inter-personal)، بل أيضًا على المستوى البينَ-اجتماعي (inter-social). وعلى هذا، يظهر أن الهدف الأساسي لكل حوار يقع في فتح كلِّ كائنٍ بشري فردٍ بل كلِّ مجتمع إنساني، على كل التعبيرات الإنسانية الأخرى الواقعة خارج محيطه القريب والمألوف. فمن خلال الحوار يكون بإمكان كلِّ شعب أن ينفتح على سائر الثقافات والحضارات التي أبدعها البشر عبر تاريخهم الطويل في كل مكان وزمان. هكذا سيُحقِّق الكائن البشري "أنسنة كونية" (universal humanization) على مستوى أشمل وأعمق، فيصير حقًّا إنسانًا، بصورة متزايدة ومتكاملة.

وفي ضوء مقولة "الحوار" يبدو أن التاريخ البشري، في حقيقته، يمكن اعتباره امتدادًا للحوار البين-إنساني (inter-human) عبر المكان والزمان، على مستويات أوسع وأعمق، في حركةٍ متواصلة من التلقيح المتبادَل بين مختلف البيئات البشرية. فهذه الحركة تؤدي إلى "أنسنة" أكثر اكتمالاً وشمولاً للجنس البشري أجمع، ومن ثم لكل كائن بشري فرد فيه. وفي النهاية، ستُسفر هذه الحركة الحوارية الكلية عن حقيقة مُهمة جدًّا تكشف أنها موجَّهة بالأساس نحو هدفٍ شامل نهائيٍّ (telos)، يُدرَك حتى ولو بطريقة غامضة على أنه الهدف الأعلى ونقطة الالتقاء الأسمى لكل تاريخ الحوار البشري، نقطةٌ يجد فيها هذا الحوار الكوني كماله الكلي وتحقيقه الأقصى. فعند ذلك اللقاء فقط، سيدخل الحوار البشري في أبعاده النهائية الكاملة، حيث يصل إلى تمام إدراكه وكامل تحقيقه في لقائه مع المطلق ذاته. وحينئذ ستتحقق الحقيقة النهائية للوجود كله، كما يرد في الكتاب المقدس: "يكون الله كلَّ شيء في كل شيء" (١كور ١٥: ٢٨)، وكما يرد أيضًا في القرآن الكريم: "وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (سورة الأنعام، الآية: ١٠١).

على هذا، نرى أن الحوار البشري على اختلاف مستوياته يجب ألا يُغالَط بتلك الثرثرات الفارغة، التي أصبحت في أيامنا "موضة" واسعة بل قُلْ مرضًا شائعًا في مجتمعاتنا. أن يدخل المرء في حوار جادٍّ يعنى في حقيقة الأمر أنه يستجيب للدعوة الأساسية الأنطولوجية المحفورة في نفسه، التي تُشكِّل المكوِّن الأساسي والجوهري للكائن البشري في حدّ ذاته.

ومن ثم نرى أن الحوار ليس موضوعًا اختياريًّا صرفًا، بل أصبح الحوار في عالمنا المعولَم من الضرورات الأكثر حاجةً لنا لنستأصل من القلب البشري كل بذور الشر والبغض والعنف التي كثيرًا ما أنتجت عبر التاريخ البشري كوارث مروِّعة من صِدامات وحروب ودمار لا حصر لها. فلا يمكن بناءُ حوارٍ جادّ بين البشر بدون تنقية عميقة في قلبه حتى يتفتح كل واحد منا على الآخر المختلف بأحسن وأنبل مشاعر المحبة والأخوة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣: الأسس اللاهوتية للحوار[٦]:

حاولنا حتى الآن أن نبيِّن الجذور الأنطولوجية والأنثروبولوجية للحوار، وقد اتضح أن الحوار الأنطولوجي يتَّجه من أساسه نحو الحوار الأنثروبولوجي، وكما يتجه هذا الأخير بدوره نحو الحوار الديني (religious) أو اللاهوتي (theological)، أي نحو الحوار مع أساس الوجود ذاته، وهو المطلق، أي الله. فهذا هو الهدف الأخير (telos) لكل حوار بشري وتمامه إلى الحد الأقصى. إذن، فالحوار الديني اللاهوتي هو في حقيقة الأمر الغاية القصوى والهدف الأخير لعملية الحوار برمتها.

ودون محاولة التقصِّي في هذا الموضوع الواسع الأطراف والمتعدد الأبعاد، فإننا نكتفي هنا بإبراز بعض الملامح التي تبدو في نظرنا مركزية لمفهوم الحوار الديني اللاهوتي. فهذا الأخير يبدو لنا متأسسًا على حقيقة أساسية، هي أن الكائن البشري يثبت في واقعه الأنطولوجي التاريخي أنه الكائن المتسامي نحو السر المطلق، أي الله.

فمما سبق من كلامنا يبدو جليًّا أن أساس الحوار البشري يكمن في جذور كنه ذات الإنسان. والحق أن الدراسات الفلسفية قديمةً وحديثةً بيَّنت بطرق مختلفة من خلال التحليل الوجودي أن الكائن البشري- على ما هو عليه- هو بالأساس "الكائن للتسامي" (the being of transcendence)، أي هو الكائن المنفتح على كلية الوجود، والمتَّجه جذريًّا نحو ملاقاة الأساس الأخير والمبدأ الأصلي لوجوده وللوجود الكلي، وهو المطلق.

وكذلك أوضحنا أن هذا الكائن المتسامي ليس موجودًا فحسب، إنما هو مدرِك وواعٍ (conscious) بوجوده الذاتي، فلا يتواجد كموضوعٍ متشيئٍ (object) ومفعولٍ به بين سائر الأشياء الأخرى المفعول بها. إنما يتواجد الإنسان دائمًا كشخص فاعل (subject) وكمصدر للفكر، فهو واعٍ بوجوده وحاضرٌ من ذاته لذاته عبر أفعاله من المعرفة والمحبة والحرية.

والحق أن الكائن البشري عبر الرجوع إلى ذاته والحضور لذاته والوعي بذاته يكشف أنه يطفو في أفقٍ شامل كلي يكوِّنه ويحيط به من كل الجهات، فهذا الأفق يظل

---

(٦) المرجع الأساسي لرؤيتي اللاهوتية في الحوار يرجع إلى المفكر اللاهوتي العظيم كارل رانير (ت ١٩٨٤)، خاصة في كتابه:

Karl Rahner, *Grundkurs des Glaubens. Einfürhung in den Begriff des Christentums*, Herder Verlag, Freiburg im Breisgau, 1976 (= GdG); English translation, *Foundations of Christian Faith. An Introduction to the Idea of Christianity*, translated by William Dych, Crossroad, New York, 1999 (1st ed. 1978) (= FCF).

ومعنى عنوانه: *دراسات أساسية في الإيمان- مدخل إلى مفهوم المسيحية*؛ ولم يُترجم بعد إلى العربية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المرجعَ الأخير لكل أفعاله الإنسانية. هكذا، فإن الكائن البشري يظهر أنه الكائن المنفتح على الوجود كلِّه، أي على كلية الوجود، فمنه يطفو الإنسان وإليه يتوجه توجهًا أصليًّا. والواقع أن الكائن البشري في عين خبرته بمحدوديته الملازمة له في حيثيات الزمان والمكان، يخبَر بحضور اللامحدود له، أي بحضور اللانهائي له كأفق سابق وأساس شامل لخبرته المحدودة. فمن خلال أفعاله المنفتحة والمتسامية نحو كلية الوجود، يخبر الكائن البشري نَفْسَه في بُعده الأكثر عمقًا وسعةً، أي في كونه رُوحًا، أي الكائن المنفتح لكلية الوجود والمتجه نحو أساسه اللامحدود. إلا أن هذا الأفق يظل دائمًا غير قابلٍ للإدراك (incomprehensible)، لأنه "متعالٍ على الكائن البشري وكلية أفعاله"، بل على كلية الموجودات، فهو يتعالى ولا يُتعالى، وكذلك هو محيط بالكل وغير محاط به.

فيقول كارل رانير في هذا الصدد:

"على أية حال، فالإنسان يكون ويبقى دائمًا الكائن للتسامي، أي إنه ذلك الكائن الذي تحضر له دائمًا الحقيقةُ اللامتناهية الصامتة وغيرُ المُتحكَّم فيها، كسرٍّ مُغيَّب (mystery). هذا مما يجعل الكائن البشري بكليته منفتحًا على هذا السرِّ المُغيَّب، وبالضبط بهذه الطريقة يصير الإنسان حاضرًا لذاته كشخص (person) وكفاعل (subject)"[٧].

وبناءً على ذلك، فالمطلق يُثبت أنه حاضر دائمًا في روح الإنسان بذاته كالأفق الذي يحيط بالكل ولا يُحاط بشيء، وكالمعيار (criterion) الذي يقيس الكل ولا يُقاس بشيء، وكالسائل الدائم الذي يلحُّ بسؤاله على روح الإنسان في أعماق ضميره، فعلى الإنسان أن يقدِّم له إجابة مسئولة.

وعلاوة على ذلك، فهذا الأفق المتسامي بدوره لا يمكن أن يصير شيئًا موضوعًا ومحدودًا في إطار المقولات الكونية المعروفة. فهذا الأفق يُثبت ذاته على أنه المرجع الذي تُحال إليه كل الأسماء، ولكنه في نفسه يبقى دائمًا فوق كل اسم، فهو الأساس الذي إليه يُسنَد الكل، ولكنه في ذاته لا يُسنِد إلى أي شيءٍ كان ما كان، وهو الواحد الذي يحيط بالكل، ولكنه لا يمكن أن يحاط بأي شيء كان ما كان. وآخر الأمر، فإن هذا الأفق الكلي الشامل اللامتناهي يكشف عن ذاته على أنه السر أو الغيْب المطلق (the Absolute Mystery) الذي إليه يتوجه التسامي الجذري المحفور في صميم قلب الكائن البشري، أي انفتاحه الأصلي على كلية الوجود، خاصة من خلال أفعاله من المعرفة والمحبة والحرية. وعلاوة على ذلك، فإن هذا السر المطلق، ينكشف على أنه الأساس والمصدر للوجود العام

(٧) انظر: GdG p. 39, FCF, p. 35.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في كليته، ويُثبت كذلك، كما ذكرنا آنفًا، أنه الدافع الأول والهدف الأخير بل الأساس الأصلي المتين للحوار البشري. هذه هي الحقيقة النهائية للكائن البشري عندما يُسبَر في أبعاده الوجودية الأكثر عمقًا وسرًّا. إن هذا السر المطلق المتعالي دائمًا واللامُدرَك أبدًا، يُسمَّى أيضًا بالسر أو الغيب الأقدس (the Holy Mystery)، الذي يظل الأفقَ الدائم الحضور والمطلوبَ الأبديَّ كالغاية القصوى والهدف النهائي للمسيرة الإنسانية، بل لمسيرة الكون كله، وهو الذي يُشار إليه في لغتنا المتداولة باسم الله.

وفي الوقت نفسه ينكشف هذا السر المطلق المتعالي على أنه الأساس الأخير للعلاقة البين-بشرية. وهذا لأنه بالفعل الحقيقة اللانهائية التي دائمًا ما تحضر وتخاطب الفاعل البشري، الذي فقط في مقابلته مع تلك الحقيقة المتعالية يَخبر ذاته الحقيقية كفاعلٍ متَّسق ومتواصل وثابت في الوجود، وإلا فسوف يتلاشى الفاعل البشري بين الأشياء في تشيُّءٍ بلا تمايز. وهذه الحقيقة المتعالية يُشار إليها في الكثير من النصوص الدينية باسم "**وجه الله**" (face of God). إن وجه الله هو المطلوب الدائم والمشتاق إليه النهائي، بل هو الهدف الأخير والأقصى للمسيرات البشرية كلها. فالمسيرات البشرية المتعددة ليست بالأساس إلا طرق مختلفة في "طلب وجه الله". إذن، يكشف الإنسان ذاته أنه بالأساس الكائن المدعو للتسامي نحو السر المطلق الأقدس، بل للنظر إلى وجه الله. ويتكرر ذكر وجه الله في الكتب الدينية عامة. ففي المسيحية ذُكر في سفر المزامير: "عندما قلتَ: اطلبوا وجهي، قال لك قلبي: وجهَك يا رب ألتمس، لا تحجب وجهك عني" (مز ٢٧: ٨-٩). كما نجده في القرآن الكريم: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن، الآية: ٢٧] وكذلك: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٥] [٨].

والواقع أن الإنسان عندما يبحث عن وجه الله يبحث عن ذاته، كما أنه عندما يبحث عن كنه ذاته يبحث عن الله؛ فالبحثان مرتبطان لا مفر. ويبدو جليًّا أن هناك في طريق هذا البحث المشترك تمتدُّ فضاءاتٍ واسعة للتبادل والحوار بيننا نحن البشر. إذن، فالإنسان ينكشف في جوهره على أنه الكائن المتسامي أصلاً نحو السر المطلق المتعالي دائمًا واللامُدرَك أبدًا، وإلى آخره من هذه الصفات التي تُثبت التنزيه المطلق لله. ففي هذا اللقاء الخطير يجد الإنسان جوهر ذاته، وهو الأساس لكل حوار بشري جادٍّ.

---

(٨) ترد عبارة (وجه الله) مرارًا في الكتاب المقدس وفي القرآن الكريم، وتأتي في الأغلب للحديث عن الذين يريدون أو يطلبون النظر إلى وجه الله، بل اللقاء معه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي هذا المعنى نجد قول الفيلسوف الفرنسي الشهير، بليز بسكال (Blaise Pascal) (ت١٦٦٢) حيث قال: "ما كنتَ لتبحث عني إن لم تكن قد وجدتَني، ولم تكن قد وجدتَني، إن لم أكن أنا قد وجدتُك سَلَفًا"[٩]. وهذا قولٌ قد يجد مقابلاتٍ مُدهشة عجيبة في الكثير من أقوال المتصوفة الروحانيين (mystics) من شتى التقاليد الدينية العالمية.

وهناك، في هذا الصدد، سؤال في غاية الخطورة يطفو على الوعي البشري ويطرح نفسه بنفسه بلا مفرٍّ: هل من المحتوم أن يظل تسامي الروح الإنساني هذا وانفتاحه الأصلي وتوجهه الأساسي نحو ذلك السر المطلق، أي الله، فقط مجرَّد حركة تتَّجه نحو غايةٍ لا يمكن الوصول إليها، أو أفقًا لا يمكن مُقَارَبَته، أو هدفًا غير مُمَاسٍّ ولا متُدارَك للأبد؟ هل من المقدور أن يتوجه الكائن البشري نحو ذلك السر المطلق فقط عبر رموز قد تشير إليه وتُبشِّر به من بعيد، ولكنها أبدًا لا تكشف عن كنه حقيقته؟ هل من المكتوب على الكائن البشري أن يظل للأبد الباحث عن السر المطلق، وكأنه جالس عند حافة كنه غوْرِه، محدِّقًا في أعماقه السحيقة ومُلقيًا إليها بصرَه دون أن يُتاح له أبدًا أن يتقارب من ذلك السر المغيَّب والمغيِّب غير المسْبُورِ كنهه؟

على أية حال، فمن الواضح أن الإجابة القاطعة عن هذه التساؤلات الخطيرة لا يمكن أن تأتي من طرف الكائن البشري، إنما تأتي من طرف المطلق فحسب، لا غير.

وبديهي أن المطلق، بالضبط لأنه كذلك أي مطلق، لا يمكن أن يُجْبَر على أي شيء كان، وأنه سيظل دائمًا أبدًا مطلق الحرية فيما يريد. فهو حرٌّ في أن يكشف عن ذاته، بل وحتى أن يمنح ذاته لمن شاء وكيفما شاء ومتى ما شاء ووقت ما شاء بغير شروط مفروضة عليه. فليس هناك شيءٌ، من داخله أو من خارجه، بإمكانه أن يُجبِر المطلق على أي شيء كان، أو أن يمنعه عن أي شيء كان، وإلا قد توقف عن كونه مطلقًا.

لقد كثرت على مر التاريخ البشري الإجابات عن تلك التساؤلات الأساسية عن المطلق من قبل العديد من الأديان العالمية التي تعتبر طرقاً مختلفة للإجابة عنها. وهذا ما تثبته الوثيقة الكنسية الصادرة عن المجمع الفاتيكاني الثاني (روما، ١٩٦٥)، وعنوانها "في عصرنا" (*Nostra Aetate*) والتي تصف الأديان المختلفة على أنها إجابات متعددة

---

(٩) النص الأصلي يقول:
"You would not seek Me if you had not already found Me, and you would not have found Me if I had not first found you", The original French says: "Console-toi, tu ne me chercherais pas, si tu ne m'avais trouvé", Blaise Pascal, *Pensées*, "*le mystère de Jésus*", N° 553 dans l'édition Brunschvig, N° 919 dans l'édition Lafuma, from website.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومتنوعة عن التساؤلات الأساسية التي "تُقلق القلبَ البشري في العمق"، لأنها تساؤلات تلمس معنى وجوده الأصلي. فيقول نص المجمع الفاتيكاني:

"إن البشر كلهم ينتظرون من الأديان المختلفة إجابةً مقنعة للألغاز المخبوءة في الوضع البشري (human condition)، وهي ألغاز أقلقت ولا تزال تُقلق القلبَ البشري في عمقه، في ماضيه وحاضره: ما الإنسان؟ ما معنى حياتنا وغايتها؟ ما الخير وما الشر؟ ما مصدر الآلام وما غايتها؟ ما الطريق الذي يقود إلى السعادة؟ ما الموت والحساب والجزاء بعد الموت؟ وأخيرًا، ما السر المطلق المتعالي على كل وصف، والذي يحيط بوجودنا كلنا، فمنه نأتي إلى الوجود وإليه نصير؟"،(في عصرنا، الفقرة ١).

وكل هذه التساؤلات تأتي بمثابة منطلق للدخول في مجال واسع جدًّا، هو دراسة تلك الأديان العالمية وإجاباتها عن تلك التساؤلات الخطيرة. فهذا مجال لدراسة تاريخها الواسع والممتد عبر الزمان والمكان منذ فجر البشرية على كوكبنا حتى يومنا هذا. ولا يسع هنا المجال لهذه المقاربة الموسوعية الضخمة التي تتمثل في تاريخ الحوار بين الإنسان ومصدره الأول، وهو الله.

وهذه التساؤلات أيضًا تمثل منطلقًا للحوار بين الأديان، إذْ إن الإنسان، كما قلنا آنفًا، عندما يبحث عن الله يبحث عن ذاته، كما أنه عندما يبحث عن كنه ذاته يبحث عن الله؛ فالبحثان مرتبطان لا مفر. ويلاحظ أيضًا أن حوارًا حقيقيًّا يستلزم في المقام الأول أن يقدِّم كلُّ طرف فيه رؤيته أو إيمانه بأمانة وإخلاص دون تنكر، وفي الوقت نفسه أن تكون لديه معرفة موضوعية كافية بما يؤمن به الطرف الآخر، وحسب ما يفهمه هذا الأخير بنفسه، مستبْعِدًا كل ما قد يشوِّش إيمان الطرف الآخر من سوء الفهم أو من الجهل بحقيقته.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خاتمة

لقد أشرنا في مقدمة هذا البحث إلى ضرورة الحوار في عالمنا المعولم لاستبعاد خطرين عظيمين يهددان بقاء البشرية على قيد الوجود معنويًّا وجسديًّا. وهذان الخطران هما: "**العولمة التسويقية**" من ناحية وما يُسمى بظاهرة "**القبليات الحديثة**" من ناحية أخرى.

لذلك قمنا في دراستنا هذه بإبراز الجذور العميقة والراسخة للحوار بين البشر على مستوياته المختلفة من أنطولوجية وأنثروبولوجية ولاهوتية. فالحوار ليس أمرًا اختياريًّا متروكًا للنزوات البشرية المتقلبة، إنما الحوار حقيقة ضرورية لكي يصير الإنسان أكثر وأكمل إنسانية.

وعلى ذلك نرى أنه على الأديان العالمية دور مهمٌّ ومسئولية كبرى للغاية لكي تكون أكثر فأكثر عوامل للسلام لا دوافع للحرب بين الناس. فعلينا جميعًا أن نعترف بأن أديانا كثيرًا ما لعبت في الماضي دور الدافع للحروب، مما أدى إلى الكثير، بل الكثير جدًّا من العنف والدمار. فليس هناك برئ في هذا المجال، وليس علينا كلنا إلا واجب الاعتراف به والتوبة عنه.

أما الآن، في عالمنا المعولم، يجب أن تدخل البشرية في مرحلة جديدة لتكون العلاقات بين الناس مؤسسة على السلام والأخوة، لا على الصدام والحرب.

لذلك قلنا إن هناك حاجةً مُلِحَّةً للتعاون معًا بين كل الناس من أجل التغلب على كل النزعات العنيفة والمدمرة. لذلك نردد قول المفكر الألماني هانس كونج (Hans Küng): "لن يكون هناك سلام بين الشعوب ما لم يكن هناك سلام بين الأديان". فالأديان العالمية كلها مُطالَبة الآن أن تقدِّم وتدعِّم مبادئ واضحة راسخة لبناء "إنسانية جديدة" (new humanism)، أو "أنسنة متجددة" (ever new humanization) على أساس فلسفة أخلاقية ثابتة ومتَّفقٍ عليها عند الكل. إلا أنه لا يمكن أن يتم ذلك، في رأينا، إلا من خلال حوار جادٍّ عميق بينها، وعلى ذلك نردد قولنا: "لن يكون هناك سلام بين الأديان إن لم يكن هناك أولاً حوار جادّ إيجابي عميق بينها".

وآخر الأمر نرجو أن تكون الأفكار والتأملات التي طرحناها في هذه الورقة عاملاً لتحقيق هذا الهدف الغالي العزيز فتساعد على بناء مجتمع إنساني يسوده السلام والأخوة والمحبة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com